**محاضرة 4**

**ب - الاحـتـفالات والطقوس السحرية :**

## تدلّنا كتابات المؤرخين القدامى و المحدثـين وما سجله الإثنوغرافيون الأوربيون أن سكان شمال إفريقيا قد مارسوا عدة احتفالات وطقوس سحرية جماعية ، فالمقدس يظهر في الظروف المختلفة فمن تـلك الطقوس ما يأخذ طابعا اجتماعيا كالاحتفالات و الأفراح و الحرب والصيد التي تستـدعي تحريضا جماعيا(1) ،و من أهمها طقوس استدرار المطر و الخصوبة .

1 - **طقـوس استـدرار المطــر :**

يذكر هيرودوت في هذا الشأن أن النسامون (Les nassamons )(2) كانوا إذا لم يجدوا لديهم شيئا من السوائل يأخذون الغبار من الأرض ويلعقونه(3)، وقد كانوا يخرجون في جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق ،معبّرين من خلاله للآلهة عن مدى احتياجهم للغيث بإظهار ضعفهم اعتقادا منهم أن الجفاف عقاب منها(4)، و يصف نفس المؤرخ في موضع آخر حفلة " معركة العذارى " عند

الماخلويس و الأوسيس(5) حول بحيرة تريتونيس( Tritonis)(5)،و ملخّصها أن الفتيات تنقـسمن إلى فريقين و يدخلن في مواجهة عنيفة بضربات الحجارة والعصي،ومن يمتن نتيجة ذلك لا يعتبرن أبكارا وبعدها يأخذون أجمل المشاركات في تلك اللـعبة-المعركة و يزيّنونها بسلاح إغريقي و يتجوّلون بها على عربة ،وهي حسب ( هيرودوت) تمثّل إلهة يسميها الإغريق " أثينا " (Athena )(6) .

و قد أفاض الإثنوغرافيون الأوربيون في وصف حفلات استدرار المطر التي تواصلت بالمنطقة المغاربية(7)،منها حفلة "بوغنجة "(8) حيث يذكر أحد المعاصرين الأوربيين أنه عند حدوث الجفاف

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) - Picard ( G. Ch. ), Op - Cit. , P. 4 .

(2) النسامون : يذكر هيرودوت ( IV, 172 ) أنهم يستقرون إلى الغرب من الأوسيس ، و يتركون قطعانهم صيفا بجانب البحر و يذهبون إلى

منطقة في الداخل تسمى أوجلة ، و المقصود بها واحات جالو و أوجلة الحالية . خشيم علي فهمي ، نصوص ليبية ، ص ص . 34 – 35 .

(3) - Herodote , IV , 127 .

(4) غانم محمد الصغير ، " بعض من ملامح ... " ص . 61 .

(5) المخلويس (Maklues ) من الليبيين البدو الرعاة ، يجعل هيرودوت موطنهم بعد الجندانس غربا و يمتد موطنهم حتى نهر كبير يدعى ( تريتون ) أما الأوسيس ( Auses ) فيأتي موطنهم بعد المخلويس غربا، و كلتا القبيلتين تنزلان على ضفاف بحيرة تريتونيس التي تفصل بين موطنيهما . - Gsell ( S. ), Herodote, Textes relatifs… , P.132 . (5) تعرف حاليا بخليج قابس . للمزيد انظر . - Decret (F. ) et Fantar (H. ) , Op - Cit. , P. 248

(6) - Herodote , IV , 187 , 180 . (7) للمزيد حول تلك الكتابات انظر .- Camps ( G. ) , Anzar , E.B, Edisud , Aix-En –Provence,Vol VI, 1989,

PP. 795 - 797 .

(8) غنجـة : تعني ملعقة في اللهجة الأمازيغية .

# تجتمع العجائز لتحديد يوم الاحتفال بـ : "أنزار "( Anzar )(1)في اليوم المحـدد تخرج كل النساء برفقة الأطفال و يحملن ملعقة كبيرة مكسوة بالأقمشة و الجلد فتتحول إلى دمية كبيرة(2) ( الشكل4 . ص . 46 ) و يردّدن الأهازيج و الدعوات يطلبن فيها نزول الغيث ، و في أثناء السير تلتحق بهـن أخريات، و تقدّم للموكب الأعطيات من دقيق و زيت و لحم،فيتم تحضير الطعام عند الضريح ، ثم تتبع بلعبة العصي التي تسمى "لعبة زرزاري " (3) و فيها تتجمّع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج حول الفتاة التي تقوم بدور" خطيبة أنزار ( La Fiancée d'Anzar ) و ينقسمن إلى مجموعتين و يتقاذفن بالعصي كرة حتى تسقط في الحفرة المخصصة لها ، و عندها تردد الفتاة خطيبة أنزار :

الأرض وأنا زوجتان

تزوجنا رجلا دون أن نراه . . .

ثم تدفن الكرة في المكان المخصّص لها ،و تعود النساء إلى قريتهن قبل الغروب ، وتخبأ الملعقة الكبيرة إلى احتفال آخر .

و أ صل هذه العادة أن شخصا باسم أنزار ، كان سيد المطر ،رغب في الزواج من فتاة في غاية الجمال و التي كان لها عادة الاستحمام في وادي ،وعندما نزل " رب المطر" إلى الأرض و اقترب منها خافت و هربت منه ،فانتقم منها بإدارة خاتمه الذي يحمله في أصبعه ،فجف الوادي فجأة ،فأطلقت الفتاة صيحة في رعب و تمزقت ملابسها فبقيت عارية تماما ،عندها صاحت نحو إله السماء " أنزار " تدعوه أن يعيد الوادي إلى الجريان و ينتقم لها ،و في اللحظة نفسها رأت الفتاة إله المياه على شكل برق عظيم ،فضمّته ،كما عاد النهر إلى الجريان ،و اكتست الأرض بالأعشاب(4) .

و يمكن قراءة هذه الحفل من عدة أوجه ، فرغم أن الرواية تبدو متجانـسة فإن غياب الوثائق الكافية يمنعنا من معرفة تاريخها و حقيقتها و مدى أصليتها في المنطقة، و يتّضـح أن هذا الحفل كان يشمل عدة أنشـــطة ذات دلالات متعددة ، فبالنسبة لميقاتها يلاحظ أنه مرتبط بشـــــــــــــح الأمـطار الذي قد

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) أنزار : اسم مذكر يعني المطر . Ibid. , P . 795 . -

(2) الإسم الشائع لتلك الدمية هو " غنجة " و قد تأخذ أسماء أخرى بحسب المناطق مثل تاغنجة أو تاررنزة ؛ - Ibid. , P. 796 (3) تسمى تلك اللعبة أيضا لعبة الكرة أو لعبة تاكورت ؛ - Ibid. , P. 797 .

(4) - Génévois Henri , «  Un rite d’Obtention de Pluie ( La Fiancé D’Anzar » ) dans Actes du

Deuxième Congrès International d’Etudes des Cultures de La Méditerranée Occidentale ,

S. N. E. D. , Alger , 1978 , P. 393 .

يتزامن مع فصل الخريف و هو البذر أو الربيع الذي يعرف فيه النبات مرحلة النمو، فيوحي حمل الملعقة الكبيرة بأنها اسـتعاضة سـحرية للأرض العطـشانة(1)،و التي أدى التطور الميثـولوجي إلى إعطائها شـخصية يسميها السكان المحليون "خطيبة أنزار "(2).

و يظهر البعد الاجتماعي واضحا من خلال تحضير الطعام والاشتراك في جمع مستلزماته ،و الذي قد يعتبر نوعا من التضحية والقربان ، أما اختيار مكان إقامة الوليمة عند مسجد أو قبر ولي فقد يعود إلى تراث فترة ما بعد الفتح الإسلامي للمنطقة .

و من مشمولاته كذلك لعبة الكرة التي يتم طمرها في الحفرة المخصصة لذلك الغرض و التي تختتم بها تلك اللعبة الطقسية ،و رمزية هذه العملية هي من دون شك التخلص من الجفاف .

كما يلاحظ الحضور الكلي للنساء ( الإناث ) و الغياب التام للرجال ( الذكور)في مـختلف مراحل الاحتفال و هو ما يسمح لنا باستحضار فكرة الخصوبة المرتبـطة بالمرأة والأرض ، و بدورها أخذت الأقوال(3) دورها كشكل للتعبير في هذا الحفل من خلال الدعوات التي ترددها النسوة .

و ما يجدر ذكره أن **المرابطين** دعوا إلى إيقاف ممارسة هذا الاحتفال بالصيـغة التي سبق وصفها ، فصارت مقتصرة على حمل الملعقة الكبيرة فقط(4).

و يرى ج. ش. بيكار أن في تبـادل الضربات طرد للشر عن الفتيات كما أن في الاحتفال تجـديد للمقدس و أن ارتباطه ببحيرة تريتون التي يعتبرونها أم الإلهة أثينا و حيث الأب بوسيدون كما يذكر هيرودوت فإن الإلهة تمثل مقدس المياه الذي يسبّب الخصوبة(5) .

و في القرن الخامس بعد الميلاد أشار القديس اوغسطين إلى حفل مماثل في قيصرية( Césariaée) أي شرشال الحالية بالوسط الجزائري فيذكر أن هذا الحفل يسمى ( Caterva ) و له تاريخ محـدّد و يدوم لعدة أيام ، و يتم بكيفية مشـابهة للتي ذكرها هيرودوت عن معركة العـذارى ، فقد كان سكان المدينة ينقسمون إلى فريقين و يتصارعون بضربات الحجارة ، فهي عبادة تتخـذ شكل هذا الصراع بهدف الخصوبة و قد استنكره (القديس أوغسطين)(6) .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) - Gsell( S. ) , H.A. A. N., T.6 , P. 121 . (2) قد يرجع ذلك إلى أن المغاربة القدماء قد اعتقدوا أن عليهم استرضاء أنزار بتقديمهم " خطيبة " تثير رغبته في الخصوبة ، و بذلك يوفّرون الظروف المناسبة لوفرة المياه و الخصوبة ؛ انظر للمزيد . - Camps ( G. ) , Anzar… , P. 795 . (3) تختلف صيغة ما يتم ترديده من أدعية باختلاف مناطق المغرب الكبير ، و قد أصبح الدعاء يوجّـه إلى الله سبحانه ، كما صار يتم الإكتفاء

ببعض مراحل الحفل فقط ، و تعرف الظاهرة عموما تراجعا حيث عوّضت بصلاة الاستسقاء .

(4) - Génévois ( H. ) , Op - Cit. , P. 397 .

(5) - Picard ( G. ) , Op - Cit. , P. 15 .

(6) – Gsell( S. ), H. A. A. N., T. 6 ,P. 242 ; Voir Augustin Saint , Sermones CXCVI , 4.



**- الشكل رقم 4 : دمية من الصحراء الجزائرية تمثّل خطيبة " أنزار " كان يطاف بها لاستدار المطر. المصدر:- Camps ( G. ) , Les berbères mémoire et identité, ed.errance,Paris, 1987,P .147.**

و قد استمر إحياء احتفالات مماثلة في مناطق عديـدة من شمال افريقيا، منها الذي كان يتم في رحات (RHAT )و في البركات (EL-BARAKET )في ناحية فـزان بليبيـا و الذي يتم في 27 رمضان من كل عام حتى سنة 1954 حيث منعته السلطات الليبية ، ففي " حفلة المـلح " التي تقام بعـد جمع الملح فتجتمع الفتيات مرتديات أحسن ثيابهن و حلّيهن و يأخذن هيـأة حربية فـتحمل كل منـهن عصى أو سوطا ثم تقترب فرق القريتين من بعضها و يتشـبّهن كأنهن في معركة ، و التي سـريعا ما تأخذ بعدا نمطيا ،ثم تبدأ بعض العجائز بإختبار عذرية الفتيات أمام الجمهور ، و يعطي الآباء من كلتا المنطقتين أهمية كبيرة لعرض بناتهم العازبات لهذا الفحص التقلـيدي(1).

# و في منطقة الجريد بالجنوب التونسي يتواصل حتى أيامنا إحياء حفل مماثل، توقـيته فصل الربيع يعطى فيه مجـال للغناء و الرقص والعنف والألعاب، و تجدر الإشارة إلى أنها تعرف تراجعا تدريجـيا ففي توزر و نفطة يتم الاستعداد لتلك"اللعبة – المعركة " مقـدما بعدة أيام ،و ينقسم الشباب أثناءها إلى فريقين و يدخلون في معركة حقيقية، وسيـلتهم فيها الحجارة والعصي، لكنهم يخـوضونها دون خوف من الإصابات، و مع غروب الشمس يعود كل شيء إلى طبيعته(2).

# لنا أن نتساءل بعد استعراض هذه الاحتفالات عن دلالاتها و رمزيتها ،و الأهداف المتوخاة منها وإلى أي مدى تمثّل الاحتفالات الحديثة استمرارا لتلك التي ذكرها(هيرودوت ) ؟

فالبنسبة للأهداف نلاحظ اختلاف المؤرخين حولها ، فهيرودوت يعطيها طابعا دينيا و يربطها بعبادة إلهة محلية ، أما إ .دوتيه فيجعل هدفـها الإبعاد الحقيقي للآلام و والأدناس عن المتصارعين والمتصارعات(3)،أما عند ج. ش بيكار فإن هدف تلك التظاهرات هو تجديد المقدس بتطهيره من كل الشوائب، أي بطرد الماضي ممثّلا في الجفاف، أما م.ح. فنطر فيرى فيه طقسا للتنقية بعلاقة مع فكرة الخصوبة(4) ،ومنه فإن رمزية تلك الطقوس ودلالتها تشمل انشغالات عديدة تتمحور حول الخصوبة و التطهّر و الأمن بتقليد حالة الحرب التي تظهر بشكل مباشر من خلال المعركة بالعصي و الحجارة .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) - Camps (G . ) , Massinissa … , PP. 21 - 22 .

(2) - Decret (F. ) et Fantar ( H. ) , Op - Cit , PP. 248 – 249. (3) - Doutté ( E. ) , Op - Cit. , P. 509 .

(4) – Picard ( G. ), Op – Cit., P. 15 .

أما عن مدى كون الحفلات الحالية استمرارا وشكلا متجددا للحفلات القديمة ،فإنه بالنـسبة لحفل منطقة الجريد تبدو الفرضية مقبولة،وفقا لما يذهب إليه(م. فنطر) اعتمادا على نقاط مشتركة عديدة منها تشابه أدوات المعركة في كليهما إلى جانب طابعها الديني ، و العنف الذي هو مباح في كليهما و كذلك وحدة المكان حيث تريتون ليست بعيدة عن منطقة الجريد ، و إذا كانت اللعبة تجـري بين الفتيات حصـرا في عهد (هيرودوت) فقد صار الشباب ( الذكور ) يشاركون فيها لاحـقا ،فإن هذا التحوّل – حسبه – يبدو طبيعيا في وسط أصبح مسلما، فهذا الصراع الطقوسي يبـدو أنه يمتد إلى معتقدات ليبية و ممارسة سابقة للعهد العربي الإسلامي(1) .

**2 - الاستـحمام الـمقدس :**

من الممارسات التي عرفها سكان المغرب القديم كذلك الاستحمام المقدس (Les baignades Sacrées ) ، فقد كانت نسوة التجمعات البشرية المستقرة حول بحيرة تريتون بليبيا يخرجن مثلما يشير إلى ذلك هيرودوت إلى الأودية القريبة من التجمع و يستحمن في الهواء الطلق في الصباح الباكر ، ثم يستعطفن الآلهة لاستدرار المطر ويطلبن الإخصاب(2) . وقد استمرت الظاهرة حيث أدانها( القديس أوغسطين) في القرن الخامس بعد الميلاد ، واعتبرها من مخلفات الوثنيـة(3) ، كما حافظت منطقة الجريد بتونس على هذه العادة، التي وصفها (غابريال بيير) ((Gabriel Payreالمراقب المدني للحماية بتونس بقوله : " عند بزوغ الفجر تخرج النساء من كل الأعمار فيغتسلن و يطلقن شعورهن و يتلفظن بالدعوات التالية : يا فرعون أطل شعري وعرض قفاي ... و مما يزيد من أهمية هذه الشهادة من شاهد معاصر ، أمران :أولهما ذكره لتاريخها الذي هو 13 ماي ، و تكمن أهمية هذه الشهادة في أنها تحدد تاريخ هذا الحفل الذي هو أول يوم من شهر ماي حسب التقويم الفلاحي(4)، و الذي يتزامن مع فصل الربيع الذي يتميز بالبهجة و الحبور لتجدد السنـة وولادتها من جديد(5)، كما أنها تتضمّن فكرة الخصوبة و التخصيب ، فالأمر يتعلق بزواج حقيقي بين المرأة و الوادي الذي يغطّي المرأة و يخصّبها و ما تحتويه هذه العملية من تعـدّد رمزيتها بامتداد فكرة الخصوبة لتشمل الحياة الزراعية ككل مثلما

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) - Decret ( F. ) et Fantar (M. ) , Op - Cit. , P. 249 . (2) غانم محمد الصغير ، " بعض من ملامح الفكر.......، ص . 61 .

(3) Voir: Augustin( Saint), Sermons, CXCVI . - Gsell ( S. ), H. A. A. N., T.1, P. 242 .

(4) - Decret ( F. ) et Fantar ( M. ) , Op - Cit. , P . 244 .

(5) سوفير دافيد ، المرجع السابق ، ص . 38 .

تتضـمّنه الأسطورة الشرقية و الفكر القرآني**،** كما أن أقوال ودعوات النسوة في هذه الشهادة تؤكد بدورها فكرة الخصوبة من خلال دعوات الفتيات الراغبات في الزواج بإطالة شعورهن كشكل للجمال الأنثوي الذي يرتبط بالرغبة الجنسية،كتعبير عن الخصوبة عند الإنسان مثلما هو الشأن مع الشجرة كرمز للخصوبة في الطـبيعة بامتياز، و ما اختيار النخلة إلا لأنها من بيئة المنطقة حيث يكثر النخيل بمنطقة الجريد(1)، و هذا ما يوضّح دور البيئة في اختيار الإنسان للرموز المعبّرة عن أفكاره و اهتماماته.

ومما يسترعي التوقف عنده كذلك أن الدعاء كان موجها إلى "فرعون "، و هي كلـمة يرى م.ح. فنطر أن انتشارها في المنطقة يعود إلى القرآن(2) و الفكر اليهودي ، إلا أن ذلك الانتشار كان بدلالة محددة هي الكفر و ادعاء الألوهية، و عليه من المستبعد أن يوجّه إليه الدعاء، و من المرجّح أنه قد وقع خلط بينها و بيـن كلمة " عرجون " للتشـابه بينهما في الوزن و القافية ، خاصة أن هذا الاستحمام الطقسي يعود إلى عمق ليبي قديم و يتم إحياؤه وفقا للتقـويم الفلاحي المرتبط بفصول الطبيعة و لا يرتبط بالحضارة العربية الإسلامية إلا باللغة المستعملة فيه فقط(3) .

و من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن العديد من الطقوس التي تعود جذورها إلى فترات سابقة للفتح الإسلامي للشمال الإفريقي قد تداخلت في بعض المناطق مع الأعياد الإسلامية و منها يوم عاشوراء ففي مديـنة فاس وجهات أخرى من المغرب الأقصى و تونس تنتشر عادة الاستحمام في اللحظة التي تسبق شروق الشمس، سواء كان ذلك في البئر أو في النهر أو في البحر ،وإذا تـمّ الاغتسال في المنزل فإنه يتوجّب على الشخص أن يحمل الماء إليه في نفس اللحظة من ذلك اليوم أو الليلة التي سبقتها .

و لأن السكان يعتبرون أن :" كل قطرة من قطـراته فيها بركة و شفاء " فكثيرا ما يشاهد الأطفال و الرجال و النساء يلطّخ بعضهم الآخر بالطين من ذلك المـاء ، و يتم ذلك حول الآبار و ضفاف مجاري الترع و القنوات(4) .

مما يستوقفنا في هذا الاستحمام هو توقيته ، الذي يبدو أن تم ميعاده تحوّل إلى يوم عاشوراء أي بداية السنة الهجرية خلال الفترة الإسلامية،و رغم أنها تمثّل بداية السنة فإنها في ظل التقويم الهجري

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) – Decret (F. ) et Fantar ( M. ), Op – Cit., P. 245 .

(2) وردت كلمة " فرعون " في القرآن الكريم 74 مرة .

(3) – Ibid., PP. 245 – 246 .

(4) الطاهر عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص ص . 210 - 213 .

لا تتزامن إلا نادرا مع فصل الربيع الذي تتجدد فيه مظاهر الحياة الطبيعية ، فهل الأمر يتعلق بأسلمة ( إعطاء الطابع الإسلامي ) لممارسات وثنية قديمة ، أم أن هذه الممارسة تمثل بقـايا وثنية (1).

لقد أخذت " البركة " في المفهوم الإسلامي مكان قدسية الميـاه التي سادت في العصور الموغلة في القدم ، و قد يدل توقيت ممارسة الاستحمام على رمزية الخلق الجديد أو يرمز فعل الاغتسال في حد ذاته إلى عملية التطهّر من آثام وشرور السنة الماضية ،و التيمّن بعدم عودتها في السنة الجديدة (2).

# **3** - **الممارسـات الجنـسـية :**

# تعتبر الممارسات والحفلات المتعلقة بمبدأ الخصوبة ، والتي تتخذ من الممارسات الجنسية طريقة للتعبير عنها ظاهرة عالمية فقد سادت عند شعوب كثيرة في العصور القديمة ،و فيها يتجاوز الإنسان من خلال الفعل الجنسي شرط الزمان و المكان ، فقد كان الفعل الجنسي مددا من القـوة الجنسية الكونية و دعما لها في آن واحد (3).

ففي هذا المجال تقدم الرسوم و النقوش الصخرية الصحراوية مشاهد جنسيةكثيرة سواء منفصلة أو ضمن مواضيع أخرى ،و يرجع أكثرها إلى مرحلة مربي الماشية ، و قد تباينت الآراء في تفسيرها(4).

و تتواتر نصوص الكتاب القدامى التي تتضمن تفاصيل أكثر عن الموضوع، منها إشارة(سالوست) إلى حفلة كان يتم إحياؤها في عهد (يوغرطة )(5)،و في القرن الخامس بعـد الميلاد وصف( نيقولا الدمشقي) (Nicola de damas ) "ليلة الغلطة " عند إحدى العشائر الليبية ، و هي تتزامن مع موسم البذر،حيث ينظّم احتفال لا يشارك فيه إلا الرجال و النساء ، وبعـد الطعام و مع إطفاء الأضواء يلتحق الرجال بالنساء اللواتي يكن قد انصرفن جانبا فينتفع كل منهم بالتي وضعها الحظ أمامه(6).

وكان الهدف من هذه الممارسة حسب بعض الآراء جلب الخصوبة بتجديد المقـدس و تحريره بتجاوز الممنوعات العادية ،و بصفة خاصة الممنوعات الجنسية، وكذلك تشـجيع خصوبة الطبيعة خاصة المغروسات المغذية(7)، و يدعم ارتباط ميقاتها ببداية الربيع هذا التفسير .

ــــــــــــــــــــــــ

(1) و هو ما يذهب إليه أكثر الأنثروبولوجيين الغربيين مثل إ . دوتيه و لاوست ، و وسترماك ؛ للمزيد انظر .

- Hammoudi Abdellah , La Victime et ses Masques , Seuil , Paris , 1989 .

(2) الطاهر عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص . 214 .

(3) الربيعو تركي علي ، الإسلام و ملحمة الخلق و الأسطورة ، المركز الثقافي العربي ، ط. 1، بيروت ، 1992، ص . 127 .

(4) – Lequellec ( J. L. ), Op – Cit., P. 342 .

انظر لمزيد من التفاصيل: - Ibid., P-P. 337 – 403 .

(5) - Salluste , Cathalina , Yugurtha, Fragments des Histoires , XLVI, 2 ,Traduit par Alfred Ernout , Les Belles Lettres , 2 ème éd. , Paris , 1974 .

(6) - Decret ( F. ) et Fantar ( M. ) , Op - Cit. , P. 247 .

(7) - Picard ( G. Ch. ) , Op -Cit. , P. 16 .

أما عن أصل هذه الممارسات فيرى( س . جزيل) أن لا أثر فيها لأية تأثيرات بونية(1) ،مقابل رأي (ج.كاركوبينو)( Carcopino. G.) الذي يـؤكد أن هذا الطقس امـتزج منذ القرن الرابع قبل الميلاد بالطقوس الموجّهة لعبادة ديميتر ( Demeter ) إلهة الخصب عند الإغريق (2).

من تجليات استمرار مثل تلك الممارسات الحفل الذي أشار إليه(ليون الافريقي) (Léon L'Africain) في القرن السادس عشر الميلادي في عين الأصنام إذكان لهم في العـهد الذي كانوا فيه وثنـيين قرب مدينتهم معبد يجتمع فيه الرجال والنساء مع غروب الشمس في وقت معين من السنة ، وبعد أن ينتهوا من تقديم القرابين يطفئون الأنوار و يستمتع كل واحد بالمرأة التي توجد أمامه ، و يضيف أنه يكون محرما بعد تلك الليلة على كل امرأة مشاركة في الحفل أن تقترب من زوجها مدة عام ، وتتم تنشئة الأطفال الذين يولدون من تلك النسوة خلال تلك الفترة من طرف كهّان المعبد ، كما لاحظ وجود نبع في ذلك المعبد بقي موجودا حتى عهده (3).

و في القرن السابع عشر بعد الميلاد وصف(ابن أبي دينار) حفلا ربيعيا يشرع فيه ابتداء من فاتح ماي في ساحة عمومية بمدينة تونس ، تسمى ساحة الوردة و تقع على أحد الأبواب الرئيسية للمدينة هو باب الخضراء ، و يدوم الحفل خمسة عشر يوما ، يتم فيه – حسبه – ممارسة الفجور، و رغم منع ذلك الحفل فقد كان يعود إلى الظهور من جديد،حتى منعه بصفة نهائية الباي(أحمد خوجة (4)،و في مطلع القرن العشرين أشار( إ .دوتيه) إلى احتفالات مماثلة بالمغرب الأقصى و بالصحراء (5).

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) - Gsell ( S. ) , H. A. A. N. , T.6 , P. 121 .

(2) - Picard ( G. Ch. ) , Op - Cit. , PP. 11 , 16 .

(3) الوزّان الحسن بن محمد الفاسي ( المعروف بليون الإفريقي ) ، وصف إفريقيا، ج 1 ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، ط. 2 ، بيروت ، 1983 ، ص . 364 .

(4) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، تونس ، 1967 ، ص ص . 308 - 309 .

(5) - Doutté ( E. ) , Op - Cit. , P. 522 .

**4 - عبادات متعلقة بالمياه الأرضية :**

إن الأهمـية التي تحتلها المياه بالنـسبة لحياة الإنسان و النبات و الحيوان ،جعلت منها موضوع عبــــــادة ، و يكون الأمر طبـيعيا أكثر في شمال إفـــــــريقيا الذي يعرف الجفاف ، مما أعطاها قيـمة مقدسة منذ أقدم العصور(1)،لذلك عـّبر الإنسان المغاربي عن حاجته إلـيه و اسـتدراره بطرق مختلفة ، سواء كانت في شكل أوديـة أو منابع أو آبار فقد اعتـبرها إنسان المنطقة سكنا للمقدس ، لذلك تكـثر النقوش منذ العهد الروماني على شرف جـنون المياه(2)، كما تقدم لنا الآثار في هذا المجال أدلة عديـدة من مختلف منـاطق المغرب الكبير ، تعـتبر استمـرارا لتلك الاهتمامات من خلال رومـنة عبادات قديمة ، منها ما عثر عليه ( ج .ش. بيكار) في وسط الحصن الـروماني ( Castellum Dimmidi ( (3) بمـوقع مسعد بالجزائر على بئر أسـفل بناء بالصلاة (Praetorium) للمعسكرات الرومانية ، و يوجد بها ما يشبه المعبد الصغير ، وهو مبني على قبو متينة مقوسة ، و في جانبها يوجد محراب يغطي البئر العتيقة ،ويدل ضيق المدخل و عزلة البئر في عمق الأرض على الاعتقاد بأنه كان يستخدم لممارسة العبادة ، ولعل ما يدعم هذا التفسير العثور على إهداء (Dédicace ) إلى عدة آلهة منها اسكولاب ( Esculape ) و هو الاله الذي يرأس كهنة المياه ، ومنه استخلص (ج.بيكار) أن اسكولاب يغطي شخصية جـن ليبي للمياه الصحية (4).

كما وجدت الظاهرة نفسها في تيمقاد ، حيث عثر( م. ليشي ) (Leschi. M ) سنة 1947 في الحصن البيزنطي على بعد 300 متر جنوب المدينة على معبد ثلاثي مشيّد على النمط الروماني،و ما يلفت للانتباه فيه احتواؤه على مصلى(Chapelle) في الوسط أكبر من الأخريات ،كما يشغل المسبح القسم الأكبر من الساحة الممتدة أمام المذبح ، هذا إلى جانب أن جزءا من بقايا النصب الذي عثر عليه يمثّل الإله سيرابيس ( cerapis)أو اسكولاب التي هي آلهة للمياه ، و ما تسمـية العين ( المنبع ) الأصلية ب ( aqua septimiana ) أو إعطاء الرومان لها الطابع المقدس و تسميتهم لها(Numen ) أو( De vertus ) إلا شكلا من امتداد لعبادة محلية (5).

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(1) - Leglay ( M. ) , Op - Cit. , 421 .

(2)- Basset ( R. ) , Op – Cit. , P. 299 – 300. (3) حصن روماني يوجد في موقع متقدم من خط الليمس الروماني في منطقة الحضنة قريبا من بلدة مسعد بولاية الأغواط ، و قد أجريت التنقيبات الأثرية فيه بين سنتي 1939 و 1941 . للمزيد حوله انظر :

- Picard ( G. Ch. ) , Castellum Dimmidi , éd. Boccard , Paris , 1947 , PP. 28 - 36 .

(4) - Ibid. , Les religions … , P. 6 .

(5) - Ibid. , P. 7.